

# **أثر الإسناد إلى النكرة في تحقيق مقاصد الوعيد**

**م. د هبة أحمد طه**

**الجامعة العراقية - كلية التربية للبنات**

الحمدُ لله الذي بنعمتهِ وفصله تتم الصالحاتُ وتغفرُ الزلاتُ ، وأصلي وأسلمُ على محمدٍ وآله وأصحابه فخر الكائناتِ.... وبعد : فإنّ هذا البحثُ يتناول آيات مخصوصة من آي الذكر الحكيم وهي آيات الوعيد ، درست فيها بيان أثر تكثير المسند إليه ، فالإسناد أهم معنى نحوي في النظم ، ولا يمكن للمتكلم من تأليف أي جملة ما لم تشتمل على المسند والمسند إليه. وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في تمهيد ومبحثين وخاتمة ، أما التمهيد فقد تضمن تعريف الإسناد لغةً واصطلاحاً ، وخصّصت المبحث الأول بدراسة الإسناد الاسمي وفق أربعة مطالب ، وضمّ المبحث الثاني الإسناد الفعلي وتضمن ثلاثة مطالب ، أما الخاتمة فأودعتها ذكر أهم نتائج البحث . وأخيراً ... أرجو أن أكون قد وفّقتُ فيما عزمْتُ عليه ، وحسبي أنّها خلاصة جهد جهيد ، فإنّ أصبْتُ فذلك من فضل الله تعالى وكرمه ، وإنّ كانت الأخرى فعذري أنّ هذا مبلغ علمي وقصارى جهدي ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً .

### Abstract:

Praise be to Allah, who with his grace and virtues are good deeds and forgives slips, and pray and make peace to Muhammad and his family and companions pride of beings and after: This study deals with specific verses of the Holy Quran, the verses of warning, in which the effect of the narrator is examined, attribution is the most important grammatical meaning in the systems, and the speaker can not make any sentence unless it includes the predicate and the assignee. The first topic was devoted to the study of nominal attribution according to four demands. The second section included the actual attribution. The conclusion was presented by mentioning the most important results of the research .

### المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بعلم البيان، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالحجج والبرهان نبينا الأمين، وآله الطاهرين، وصحبه المقربين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.... أمّا بعد: فإنّ دراسة كتاب الله جلّ وعلا من أشرف العلوم وأجلّها وأفضلها ، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل العزيز الحكيم ، وقد ارتأيت استهداء طاقة المفردة القرآنية من خلال بيان أثر تكثير المسند إليه في تحقيق مقاصد الوعيد في القرآن الكريم ، فالإسناد في الجملة هو نواة تكون الجملة أصلاً فهو العلاقة الأساسية ومحور كل العلاقات الأخرى، لأن في استطاعته وحده تكوين جملة تامة ذات معنى دلالي متكامل. وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في تمهيد ومبحثين وخاتمة ، أما التمهيد فقد تضمن تعريف الإسناد لغةً واصطلاحاً ، وخصّصت المبحث الأول بدراسة الإسناد الاسمي وفق المطالب التالية :المطلب الأول: تكثير المبتدأ في معنى الدعاء.المطلب الثاني : المبتدأ النكرة الذي خبره (شبه جملة أو جملة)المطلب الثالث : تكثير المبتدأ في سياق النفي المطلب الرابع : المبتدأ النكرة العامة وضمّ المبحث الثاني الإسناد الفعلي وتضمن ثلاثة مطالب ، هي :المطلب الأول: دلالة النكرة على العموم المطلب الثاني : دلالة النكرة على التقليل المطلب الثالث: دلالة النكرة على التكثر أو التعظيم أما الخاتمة فأودعتها ذكر أهم نتائج البحث . وأخيراً ... أرجو أن أكون قد وفّقتُ فيما عزمْتُ عليه ، وحسبي أنّها خلاصة جهد جهيد ، فإنّ أصبْتُ فذلك من فضل الله تعالى وكرمه ، وإنّ كانت الأخرى فعذري أنّ هذا مبلغ علمي وقصارى جهدي ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً .

### التمهيد: تعريف الإسناد لغةً واصطلاحاً

الإسناد لغةً: الإسناد هو مصدر للفعل الرباعي (أسند)، والسند: "ما ارتفع من الأرض في قُبل جبلٍ أو وادٍ، وكلُّ شيءٍ أسندت إليه شيئاً فهو مستند"<sup>(١)</sup>والسند: المعتمد، والإسناد في قولهم: "أسندتُ هذا الحديث إلى فلان أسنده إسناداً، إذا رفعته إليه"<sup>(٢)</sup> ، وفلانٌ سندٌ، أي معتمدٌ، وسندت إلى الشيء أسندت سنوداً واستندت بمعنى<sup>(٣)</sup> . ولعل الناظر في تلك المعاني يجد أن أمراً مشتركاً يجمع بينهما، هو معنى القوة والارتباط وهذا ما أورده ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في مقاييس اللغة بقوله : "السّين والنون والدال أصلٌ واحدٌ يدل على انضمام الشيء إلى الشيء"<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى - القوة واللتزام - هو المعنى الذي أخذ منه المعنى الاصطلاحي للإسناد.

الإسناد اصطلاحاً: هو العلاقة أو القرينة المعنوية الرابطة بين طرفي الإسناد، المسند والمسند إليه وهو المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، أو نائبه، وبين كل ما يعمل عمل الفعل نحو المشتقات. وقد اهتم النحو العربي بالإسناد، نجد ذلك أول ما نجدّه لدى سيبويه(ت: ١٨٠هـ) الذي عقد باباً مستقلاً سماه (باب المسند والمسند إليه) وقال عنهما: "هما ما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منهما بدأً فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه. وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من اسم"<sup>(٥)</sup> وقد فرّق أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) بين الإسناد والإخبار عند حدّه الفعل بقوله: "وحدّ الفعل ما أسند إلى غيره ولم يسند غيره إليه، وذكر الإسناد ها هنا أولى

من الإخبار، لأن الإسناد أعم إذ كان يقع على الاستقهام والأمر و غيرهما وليس الإخبار كذلك بل هو مخصوص بما صحَّ أن يُقابل بالتصديق والتكذيب فكلُّ إخبار إسناد وليس كل إسناد إخباراً<sup>(٦)</sup> وقد درس ابن هشام (٧٦١هـ) الإسناد وأطال الحديث عنه في سياق دراسته للجمل وبيان أنواعها، فقد عدَّ الإسناد الفارق بين الكلام والجمله، فكلاهما كلام مفيد يحسن السكوت عليه إلا أنَّ الجمله خاضعة للإسناد<sup>(٧)</sup> وتكاد نظرة النحاة الأوائل تتوحد في تقديرهم للعلاقة الإسنادية بين المسند والمسند إليه، وفي إجمال ذلك يقول علي بن محمد الأشموني (ت ٩٠٠هـ): "ضم كلمة إلى كلمة فأكثر على وجه تحصل معه الفائدة المذكورة، لا مطلق الضم وأقل ما يكون منه ذلك اسمان، نحو: ذا زيد... أو فعلٌ واسم، نحو: استقم"<sup>(٨)</sup> والمتأمل في نظرية الجرجاني اللغوية يدرك أن الرجل يميز بوضوح بين معنى الخبر والإسناد، فالخبر هو نقل الفائدة الجديدة إلى السامع، وهو أهم معاني الكلام فهذا المعنى إنما هو نتاج عملية تركيبية تتجاوز دلالة الأوضاع منفردة، أما الإسناد عنده فهي اجتماع الفائدة البلاغية وعلاقة تركيبية لا مناص منها في أي كلام<sup>(٩)</sup>. أما الإسناد في الدرس اللغوي الحديث فهو من أهم القرائن في تحليل الجمل والتراكيب عند المحدثين ومن أولئك إبراهيم مصطفى الذي عدَّ الضمة علم الإسناد وعليه اقترح دمج الفاعل والمبتدأ، أو نائب الفاعل واسم الناسخ في بابٍ واحدٍ يطلق عليه "الإسناد"<sup>(١٠)</sup>، ويمضي على الطريقة نفسها مهدي المخزومي، فيعرف الإسناد على أساس كونه عملية ذهنية تربط المسند بالمسند إليه<sup>(١١)</sup>. أما د. تمام حسان فقد عدَّ الإسناد من أهم العلاقات الوظيفية المجردة التي تنهض على أساسها الجمله العربية. فهو قرينة معنوية تهدي إلى إدراك محصول الفائدة، وفي ذلك يقول: "بل لقد عرفنا أن الإسناد نفسه قرينة من القرائن المعنوية فيعتبر هو نفسه كالضمة صاحب دلالة معنوية على الإعراب الصحيح"<sup>(١٢)</sup>. ويمكن لنا أن نخلص إلى حقيقة مفادها أن الإسناد في الجمله هو نواة تكون الجمله أصلاً فهو العلاقة الأساسية ومحور كل العلاقات الأخرى، لأن في استطاعته وحده تكوين جمله تامة ذات معنى دلالي متكامل. إذن فالإسناد هو العلاقة الأساسية التي يقوم عليها كل كلام، وهذا ما جعل ركنيه (المسند والمسند إليه) من أهم المحاور التي يدور حولها الدرس النحوي. ومن المعلوم أن المسند إليه إما أن يكون مبتدأً ويطلق حينها على الإسناد بالإسناد الاسمي، أو يكون فاعلاً أو نائبه فيطلق عليه بالإسناد الفعلي. وسيحاول البحث أن يبين دور الإسناد إلى النكرة<sup>(١٣)</sup> بشقيه الاسمي والفعلي في آيات الوعيد.

### المبحث الأول: الإسناد الاسمي

ويتكون من طرفين إسناديين هما: المبتدأ (المسند إليه أو المتحدث عنه) ، والخبر (المسند أو المتحدث عنه) ، حيث يقول سيوييه (١٨٠هـ) في باب (هذا باب المسند والمسند إليه): "هما ما لا يعني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه. وهو قولك عبد الله أخوك: وهذا أخوك"<sup>(١٤)</sup>، فيكون (عبد الله) المسند إليه وهو المبتدأ، و(أخوك) المسند وهو الخبر. ويستخدم مصطلح الإسناد الاسمي في التراث النحوي للإشارة إلى أنواع متعددة من الجمله العربية، تجتمع معاً في أنها يتصدرها الاسم مع وقوعه ركناً إسنادياً فيها "ومقتضى هذا التصور الذي يشيع بين النحاة أنه لا عبرة في التصدر بالعناصر غير الإسنادية التي لا تقع ركناً من أركان الجمله، سواء أكانت أسماء أم أفعالاً أم حروفاً"<sup>(١٥)</sup>. والأصل في الإسناد الاسمي أن يُعرف المسند إليه - المبتدأ .. ؛ لأنه أولى بالتعريف لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً ؛ ليكون الحكم مفيداً إذ لا يمكنك أن تحدت مخاطباً عن شخصٍ أو شيءٍ لا يعرفه، فإذا لم يعرف المخاطب المحدث عنه لا يفهم الحديث الذي أخبر عنه به<sup>(١٦)</sup> وأورد ابن السراج (ت ٣١٦هـ) في كتابه (الأصول في النحو) قوله: "حقُّ المبتدأ أن يكون معرفة أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفه خاصة...؛ وإنما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة لأنه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه فلا معنى للمتكلم به"<sup>(١٧)</sup>. وتعمق ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في مفهوم المعرفة والنكرة وجعل المقياس لذلك المخاطب فالاسم يكون معرفة أو نكرة بالنسبة إليه لا بالنسبة للمتكلم، فقد قال: "والنكرة ما لا يعرفه المخاطب وإن كان المتكلم يعرفه"<sup>(١٨)</sup> ، فالنكرة أصل المعرفة والتعريف طارئ على التتكير، فالنكرة لا تحتاج في دلالتها إلى قرينة بخلاف المعرفة<sup>(١٩)</sup>. وتوظيف الكلمة سواء أكانت نكرة أم معرفة؛ إنما يخضع في خصوصيته لمحددات السياق النصي، وفتيات التوظيف الجمالي، يقول الزمكاني (ت ٦٥١هـ): "قد يظن ظان أن المعرفة أجلي، فهي من النكرة أولى ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق ، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق؛ وعلّة ذلك أن النكرة ليس لمفردتها مقدار مخصوص بخلاف المعرفة، فإنها لوحدٍ بعينه يثبت الذهن عنده، ويسكن إليه"<sup>(٢٠)</sup> وقد ارتأيت استهداء طاقة المفردة القرآنية النكرة، وبيان دلالتها والتي ربما فاقت طاقة المعرفة، للتعبير عن بعض مقاصد القرآن والتي منها مقصد الوعيد وهو ميدان الدراسة. وفي لغتنا العربية أمثلة كثيرة جاء فيها المبتدأ نكرة ، مع تحقق الفائدة، وعند النظر في تلك الأمثلة سنجد أن النكرة أشبهت المعرفة

بوجوه مختلفة أطلق عليها النحويون مصطلح .. المسوغات، . والمراد بها تلك الأسباب التي أدت إلى جواز الابتداء بالنكرة. يقول ابن مالك (ت ٦٧٢) في الخلاصة الألفية: لَا يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنُّكْرَةِ مَا لَمْ تُغَدِّ كَعَنْدَ زَيْدٍ نَمْرَةً<sup>(٢١)</sup>

وقد تفاوت النحاة في حصر تلك المسوغات وعدّها، فاكتفى بعضهم بمسوغين اثنين هما: العموم والفائدة؛ ليجيز بأحدهما الابتداء بالنكرة، وكثيرٌ منهم راح يتوسّع في صنع المسوغات حتى بلغت عند بعضهم الأربعين ونيفاً. ولقد تتبعتُ تنوع النكرة على وقف مقتضيات الوعيد في القرآن الكريم وتوظيف كل منها لدواعٍ معينة تثري التركيب بدلالات متنوعة، ومرجع هذا التوظيف إلى حاجة السياق، فالسياق وحدّه المحدد لهذه المعاني التي تخرج إليها النكرة، ففتبتها ووجدتها تندرج تحت المطالب التالية:

### المطلب الأول: تنكير المبتدأ في معنى الدعاء.

جوّز النحاة الابتداء بالنكرة إذا كان فيها معنى الدّعاء ولعل الذي جعل النحاة يجوزون ذلك هو "أنها ليست أخباراً في المعنى؛ إنما هي دعاء أو مسألة فهي في معنى الفعل " (٢٢). ومثلاً لذلك بقوله تعالى: "سلامٌ على آل ياسين"، ورأوا أنه جاز ذلك؛ لأن الأصل: سلاماً عليكم، والمعنى عليه. وإذا كان المعنى عليه فقد علم أن المراد: سلمت سلاماً، وقد حُذِفَ الفعل بعد أن عَلِمَ، وكان (سلام) متخصصاً في المعنى بنسبته إلى مَنْ قام به، والتقدير: سلامٌ مني، أو سلامٌ من الله، أو نحو ذلك. (٢٣) أما سيبويه (ت ١٨٠هـ) فيرى أن قولنا: سلامٌ عليك، وويلٌ وويحٌ لك... إلخ، كلها مبتدأ مبنى عليها ما بعدها، والمعنى أنك ابتدأت شيئاً قد ثبت عندك، أي: كان الاسم النكرة المبتدأ به هو المطلوب بالدعاء، وصار هو المقصود المهتم به، فليست في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيتها وفيها ذلك المعنى<sup>(٢٤)</sup>، فالدعاء معنى من معاني الكلام، وقد تخصصت النكرة به بنوع من التخصيص فجاز الابتداء بها، ومن ورود المبتدأ نكرة دالة على الدعاء في سياق الوعيد هي لفظة (ويلٌ) في قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَمْعُنُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ إبراهيم: ٢ - ٣ ففي الآية جاء المسند إليه نكرة (ويلٌ) واخبر عنه بالمسند (للكافرين)، وهذا وعيد للكافرين بالويل، وكما قيل هو وإد في جهنم، أعدّه الله لهم، إذ قابل - جلّ وعلا- قدرته وملكه الذي لا يُحد ولا يُعد بحجم العذاب الذي سيلقاه الكافرون في الويل. قال الزجاج (ت ٣١١هـ): "الويل في اللغة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة وأصله في العذاب والهلاك.. والرفع على معنى ثبوت الويل".<sup>٢٥</sup> أي: إن الويل ثابت في حقهم. وورد الوعيد بكلمة (ويل) بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ رُؤْيَاهُ ثُمَّ قَلِيلًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩ ومن أجل بيان فظاعة ما أقدموا عليه تكررت كلمة ويل ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ وقوله ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ وقوله ﴿وَيْلٌ لِمُؤْمِنِي الْمُكَذِّبِينَ﴾، فالمسند إليه في هذه الآيات (ويل) نكرة دالة على الدعاء والمسند (شبه جملة) ، والمراد من العلاقة الاسنادية بين طرفي الاسناد : الوعيد فهؤلاء اليهود - فَنَجَهُمُ اللَّهُ - كانوا يأخذون أوراقاً وقراطيس ينقلون فيها من التوراة، يقولون مثلاً: في المحلّ الفلاني من التوراة كذا وكذا، ويكتبون أموراً باطلة ليست في كتاب الله<sup>٢٦</sup> فاستحقوا هذا الوعيد لهم ؛ ليزدجر الناس عما هم فيه من الضلال وليتصروا . وعلى هذا المعنى تحمل بقية المواضع في قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وقوله .. عزَّ وجلَّ ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِي يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ { مريم / ٣٧ } ، وقوله - جلّ شأنه :: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ { الزمر / ٢٢ } ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ { فصلت / ٦ } ، ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلْمٍ﴾ { الزخرف / ٦٥ } ، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ { الجاثية / ٧ } . فهي إذاً (كلمة جامعة للشر كله)<sup>(٢٧)</sup> واتفق العلماء على معنى هذه اللفظة إلا أنهم اختلفوا في أصلها فقيل: إنها من المصادر التي ليست لها أفعال<sup>(٢٨)</sup> بينما ذهب الفراء (ت ٢٠٧هـ) إلى أن أصل (ويل) (وي) ثم "جيء بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحو: وي لك ووي له ثم خلط اللام بـ (وي) حتى صارت لام الكلمة نحو: ويلاً لك لصيرورة الأولى لام الكلمة ثم نُقِلَ إلى باب المبتدأ فقيل: ويلٌ لك كما في سلامٌ عليك<sup>(٢٩)</sup>. وقيل أن أصل ويل: "مصدر منصوب ساد مسد فعله، ولكنه عُذِلَ به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه"<sup>(٣٠)</sup>، ويجوز نصب (ويل) إلا أنها لم تأت منصوبة في القرآن الكريم.

### المطلب الثاني: المبتدأ النكرة الذي خبره (شبه جملة أو جملة)



ذهب ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) وغيره من النحاة إلى أن الفائدة تحصل للابتداء بالنكرة بأن يتقدم الخبر عليها وهو ظرفٌ أو جارٌّ ومجرور نحو: في الدار رجلٌ، وهنا يذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص: "وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجنى من الكلمة وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول" (٣١). ومن الثابت في قواعد النحو أن الخبر شبه الجملة يقدّم وجوباً إذا كان المبتدأ نكرة، وشبه الجملة سواء أكانت جاراً ومجروراً أم ظرفاً فهي نكرة، لأن كونها شبه جملة فقد سلبها صفة الأفراد وأكسبها صفة التركيب، والتركيب نكرات سواء أكانت جملاً أو أشباه جمل لأنها تحمل معاني النحو التي يستفيدها السامع من المتكلم، وبها تكون الفائدة اللغوية. وتتركبها أقوى من تركيب المفرد؛ لأن المفرد وإن كان نكرة فهو يقبل التعريف، وتتصل به أدواته، وهي (أل) التعريفية والإضافة، أما التركيب فلا يقبلها (٣٢). والقرآن الكريم يقدّم الألفاظ ويؤخرها حسب ما يقتضيه المقام، وحسب ما يقتضيه السياق، وتبعاً للمعنى المتقضى للتقديم، والمعنى في هذه الدراسة هو الوعيد وفي آيات الوعيد وجدت أن تقديم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ النكرة إنما جاء لإفادة غرضين هما:

- ١- تخصيص المسند بالمسند إليه.
- ٢- والتنبيه على أن المسند المقدم خبر للمسند إليه المؤخر لا نعت، وعلّة هذا التقديم منع التباس الخبر بالصفة (٣٣) لأن المبتدأ النكرة مفقود إلى التخصيص بالوصف فقدّمت شبه الجملة، ليؤمن اللبس في ذلك على أنها خبر لا صفة. من ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {البقرة / ١١٤} ففي الآية وعيد لأقوى أنواع الظلم الذي يجمع بين الاعتداء على حرمة الله بالاعتداء على بيوته وإبطال دورها في العبادة، وبين الاعتداء على حرمة الإنسان بالاعتداء على حريته في ممارسة شعائره وعباداته، وقد تخصص المسند (لهم) بالمسند إليه النكرة (خزي)، وهذا التخصيص جاء في سياق الإثبات فأفاد الإطلاق. وتبعاً لذلك فقد اختلف المفسرون في دلالة الخزي: "فقال بعضهم: ما يلحقهم من الذل بمنعهم من المساجد، وقال آخرون: بالجزية في حق أهل الذمة وبالقتل في حق أهل الحرب" (٣٤)، وفي تكرير المسند (لهم) "ما يشعر بكمال قوة الجزأين، ويؤكد أن العذاب الأعظم قد أُعدَّ لهم في الآخرة" (٣٥) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ {لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم عواشٍ وكذلك نجزي الظالمين} {الأعراف / ٤٠ - ٤١} وفي الآية متابعة الوعيد لأهل النار حيث تتحول الوسائل المريحة (المهاد والغواشي) وهو ما يفرشه الإنسان ويتغطى به عند اضطجاعه للنوم) يتحول إلى أدوات للعذاب ف "المراد من هذه الآية الإخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب فلهم غطاء ووظاء وفرشٌ ولحافٌ" (٣٦)، وإنما تحققت تلك الإحاطة المقصودة في الآية من تقديم (شبه الجملة) على المسند إليه (مهاد، غواشٍ) وهو كناية عن انتقاء الراحة لهم في جهنم.

### المطلب الثالث: تنكير المبتدأ في سياق النفي

النفي باب من أبواب المعنى، يهدف المتكلم به إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده، ومن المعلوم أن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم ف "النفي يخرج النكرة من حيز الإبهام إلى حيز العموم" (٣٧)، وهذا ما سنبينه وفق الآتي:

أولاً: اسم لا النافية للجنس: تُعدُّ (لا) حرفاً ناسخاً يفيد النفي، يدخل على الجملة الاسمية فينفي نسبة الخبر عن جنس اسمها نفيّاً استغراقياً تاماً، بحيث يتناول ذلك الحكم نفي كل أفراد الجنس الواحد نفيّاً شاملاً كاملاً بلا استثناء (٣٨). وذكر البصريون أن (لا) النافية للجنس لا تعمل إلا في النكرات، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): "فلا تعمل إلا في نكرة من قبل أنها جواب" (٣٩)، وأشار ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) إلى سبب هذا الوجوب فقال: "إنما وجب تنكيره، لأن الغرض بها نفي الجنس فلا حاجة إلى التعريف، لأنه لو عرّف لم يعرّف إلا تعريف الجنس" (٤٠). وتعمل عمل (إن) فتتصب الاسم وترفع الخبر، وقد ذكر النحويون أن حكم الاسم البناء على ما ينصب له لتركبته مع (لا) تركيب (أحد عشر) (٤١)، وفي ذلك إشارة إلى قوة النفي بها، حتى صار جزءاً من النفي نفسه، فالنفي بها هو أقوى أنواع النفي في العربية؛ لذا أطلق عليها اسم (لا التبرئة) (٤٢)، إذ تدل على تبرئة الجنس من مدلول الخبر. وقد جاءت (لا) النافية للجنس في آيات الوعيد للدلالة على مواقف متباينة منها قوله تعالى قال تعالى: ﴿لَا السَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ {وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَا حَمَلَانٌ ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} {وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ} {إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ} {يس / ٤٠-٤٤}.

فالآية الكريمة ضمن مقام الدلالة على وحدانية تعالى وكمال قدرته، وفيها تذكير بفضلته تعالى على عباده حين أنجاهم من الطوفان وأهلك الجاحدين من قوم نوح. وقوله تعالى "وإن نشأ نغرقهم فلا صريح لهم..." أي: أن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبو الفلك في البحر (فلا

صريح لهم)، وقد نفت (لا) النافية للجنس المغيثة لهؤلاء دلالة على عدم إغاثتهم فضلاً عما فيها من تأكيد دلالة على عدم الإنفاذ لهم من الماء، والمعنى: فلا مغيث لهم إذا نحن أغرقناهم بغيثهم، فينجيهم من الغرق. "وهذا جريٌّ على عادة القرآن في تعقيب الترغيب بالترهيب وعكسه لنلا يبطر الناس بالنعمة ولا يياسوا من الرحمة" (٤٣) و قوله تعالى: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿\* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرْبِّئَا لِقَدْ أَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ { الفرقان / ٢١-٢٢} ففي الآية تقرير لعقيدة البعث والجزاء بذكرهما وأحوالهما وبعض أهوالهما، وبيان مصير العباد يوم القيامة، فقد نفى الله تعالى البشري عن المجرمين واثبتها للمؤمنين المتقين وقوله تعالى (لَا بُشْرَىٰ لَهُمْ) يقتضي "نفي جميع أنواع البشري في كل الأوقات، ثم أنه سبحانه أكد هذا النفي بقوله: حجراً محجوراً والعفو من الله أعظم من البشري" (٤٤) فالمراد بالنفي هنا هو العموم الداخل ضمنه كل أنواع البشري . وقد تتردد في آيات الوعيد تركيب (لا جرم) وقد ذهب النحاة (٤٥) إلى أن (لاجرم) مركبة من (لا النافية للجنس) و(جرم) تركيب خمسة عشر، وهو مبني مع (لا) في موضع رفع بالابتداء، وأن ما بعدها في موضع رفع خبر ومعنى (لاجرم): تحقيق الشيء وحصوله أو بمعنى (لا بدُّ أو لا محالة، قال ابن دريد (ت: ٣٢١هـ): "وتقول: لا جرم لأفعلن كذا وكذا. وقال أبو عبيدة: معناه، حقاً لأفعلن" (٤٦).

واحتج بقول الشاعر (٤٧): [الكامل]

ولقد طعنتُ أبا عُبَيْنة طعنةً جَزَمْتُ فزارةً بعدها أن يغضبوا

وأكد سيبويه (ت ١٨٠هـ) هذا فقال في معنى (لا جرم) في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَيَصِفُ أَسِنَّتَهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لِأَجْرِمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ { النحل / ٦٢} ، ومعناها: لقد حقَّ لهم النار" (٤٨) ومما أوضحناه يتبين أن (لا جرم) تأتي بمعنى تحقيق الشيء وحصوله، أو بمعنى لا بدُّ وهذا المعنى يفضي إلى تأكيد الحدث وتحقيقه في سياق الآيات الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُّطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤٩) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٨﴾ لِأَجْرِمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٩﴾ { النحل / ١٠٦-١٠٩} . فنجد أن الآيات تتحدث عن الكفار الذين يفترون الكذب ثم ينتقل السياق إلى بيان أحكام من يكفر بالإيمان فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم والنص الكريم يغلظ جريمة الكفر بالله بعد الإيمان؛ لأنه عرف الإيمان وذاقه ثم ارتدَّ عنه إثارةً للحياة الدنيا على الآخرة (٤٩)، فأتى بالتوكيد في هذا السياق باستخدام (لا جرم)، والتوكيد بـ (أنهم) مضاعفاً؛ فذاك الذي له من الوعيد ما بينته الآيات الكريمة من غضب الله عليهم وعذابه العظيم لهم. وعلى هذا تحمّل الآيات التي ورد بها تركيب (لا جرم) في قوله تعالى ﴿لأَجْرِمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ { هود / ٢٢} ، ﴿لأَجْرِمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ { النحل ، ٢٣} قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَيَصِفُ أَسِنَّتَهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لِأَجْرِمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ { النحل / ٦٢} ، ﴿لأَجْرِمَ أَنَّمَا دَعَوْنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ أَسْرَفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ { غافر / ٤٣} .

ثانياً: المبتدأ المجرور بمن زائدة : وتزاد (من) قبل المبتدأ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ﴾ { فاطر / ٣} ، أو المفعول به كقوله تعالى: "تحس منهم من أحد" . { مريم / ٩٨} ، أو قبل الفاعل كقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: { المائدة / ١٩} ولا تُزاد عند سيبويه (ت ١٨٠) والبصريين (٥٠) إلا بشرطين: الأول: أن يكون ما قبلها غير موجب، ونعني به النفي والاستفهام والنهي والثاني: أن يكون مجرورها نكرة. وتسمى الزائدة لتوكيد الاستغراق، وهي الداخلة على الأسماء الموضوعه للعموم، وهي كل نكرة مختصة بالنفي، نحو: (ما قام من أحد) فهي مزيدة هنا، لمجرد التوكيد؛ لأن ما قام من أحد وما قام أحد سيان في إفهام العموم، دون احتمال (٥١). وفي شرح المفصل قال: "وأما زيادتها لاستغراق الجنس في قولك: ما جاء من رجل، فإنما جعلت الرجل ابتداء غاية نفي المجيء إلى آخر الرجال، ومن هنا دخلها معنى استغراق الجنس" (٥٢). وكثيراً ما وردت (من) الزائدة في آيات الوعيد لتقيد نفي الجنس، أو النص على العموم من ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَثُورُ لِحْجَتَهُمْ هَلْ أَمْتَلَاتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَرِيدٍ﴾ { ق / ٣٠} نلاحظ في النص

الكريم بلاغة التعبير القرآني فالنار تقول: (هل من مزيد) دليل على سعة جهنم وأنها تتسع لكل المجرمين والكفار لو ألقوا فيها "وحرّف (من) زائد لتوكيد العموم الذي في النكرة... وقد عُدَّ الاستفهام بهل خاصة من مواقع زائدة (من) لتوكيد العموم" (٥٣)، فجهنم لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين غضباً لربها وغيضاً على الكافرين. وفي نفي العاصم من دون الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءَ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرَهُمْ ذُلًّا مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أُعْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ { يونس / ٢٧ } فالآية في وعيد المسيئين الذين أشركوا بالله شريكاً آخر وكفروا بنعمته، فلم يقابلوها بالإيمان والإحسان فلهم عقاب مماثل لسيئاتهم دون زيادة، ويغشاهم الهوان والخزي ، ولا عاصم لهم ، ولا مانع يمنعهم من العذاب، والمعنى: "لا يعصمهم أحدٌ من سخط الله وعذابه. ويجوز مالهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم" (٥٤) فقد ردّ بهذا النفي أن يكون هناك عاصم يلاذُّ به إلا الله. ومما ورد مسند إليه مجروراً بمن الزائدة في سياق النفي لإفادة معنى الوعيد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ أُمَّتُكُمْ فَأَدْعُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ الْتَأَسَّ مِنْ يَفْقُولُ بِنَاءٍ آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَالِقٍ﴾ { البقرة / ٢٠٠ } ، وقوله - عز وجل - ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ { آل عمران / ٥٦ } .

### المطلب الرابع : النكرة العامة

جعل النحاة من مسوغات الابتداء بالنكرة أن تدلّ على العموم ويتحقق ذلك في لفظة (كل) فهي من أقوى صيغ العموم (٥٥)، فهي تتناول جميع أفراد ما دخلت عليه وتشمله شمول الإحاطة؛ وعلّة ذلك أن الإخبار عنها يكون بالأفراد ويكون بالجمع فيجوز أن نقول: كلُّ رجلٍ قائمٍ وكلُّ قائمون، ويصحّ إضافتها، ويصحّ قطعها عن الإضافة وفي كلا الحالتين تدلّ على العموم وفي سياق الوعيد جاءت مقطوعة عن الإضافة مفردةً وخبرها جمعاً ؛ وإنما وجب ذلك "لأنها اسم في معنى الجمع، فنقول: كل ذاهبون إذا تقدّم ذكر قوم، لأنك معتمد في المعنى عليهم" (٥٦)، والشاهد لما قلناه قوله تعالى: ﴿إِن تَهَيَّؤْا أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٧) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ الْيَسَارِ جَعُونَ﴾ { الأنبياء / ٩٢-٩٣ } فالآية جاءت في ختام التأكيد على وحدة الدعوة بين الأنبياء جميعاً فهم أمة واحدة ولو اختلفت أزمانهم؛ ولهذا قال الله تعالى مُحذراً مما فعل المشركون وموبخاً لهم (٥٧) (وتقطّعوا أمرهم بينهم) ثم توعدهم ، وأخبر إنهم راجعون إليه فمحاسبهم، وجاء هذا الوعيد بطريقة الإسناد الاسمي فالمبتدأ (كلُّ) وهو النكرة التي أفادت العموم والمسند (راجعون) أي: (كلهم على اختلاف أديانهم، إلينا يرجعون... فنجازي كلاً بما صنع. وهذا كلامٌ فيه تهديد ووعيد" (٥٨) ومثله قوله تعالى في سورة الأنبياء وفي السياق ذاته قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٥٩) لَوْ كَانَتْ هُوْلَاءَ آِلِهَةً مَا وَرَدُوْهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ { الأنبياء / ٩٨-٩٩ } فقد أخبر عن ما يكون عليه حال الكفار يوم القيامة ثم انتقلت الآيات إلى وصف عذابهم فهم واردون النار وصائرُونَ حصباً ووقوداً لها، ولما كان الإنسان في وقت الشدة يلجأ إلى معبوده ويستغيث به ولما كانوا يتعبدون به سبحانه مع الإشراف بغيره جاءت الآية لتؤكد أن تلك الآلهة لن تنفعهم ولن تنجيهم من العذاب؛ لأنها هي الأخرى خالدة مع عابديها زيادة في التكيل بهم وبيان كذبهم في اتخاذها آلهة مع الله (عزَّ وجلَّ) (٥٩)، وذُيِّل ذلك بقوله تعالى (وكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ)، وقد سَوَّغَت دلالة (كل) على العموم أن تشمل العابدين والمعبودين أي: كل العابدين والمعبودين في النار (خالدين) لا يخرجون منها، يعني "الآلهة ومن عبداً أنهم ماكتون في النار أبداً بغير نهاية" (٦٠).

### المبحث الثاني : الإسناد الفعلي

تشتمل الجملة الفعلية على علاقة ارتباط تنشأ فيها بين الفعل أو ما يقوم مقامه، والفاعل أو نائبه، ووجود فعل أو ما يقوم مقامه يعد قرينة على نشوء الإسناد الفعلي. ويمكن أن نقف عند إشارة لطيفة للإسناد الفعلي عند المبرد (٢٨٥هـ) في ثانيا حديثه عن الفاعل، إذ يقول: "وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملةً يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب فالفاعل بمنزلة الابتداء والخبر" (٦١). والفاعل مع فعله هما طرفا الإسناد الفعلي، وركناه الأساسيان، ولا يقوم إلا بوجود هذين العنصرين - الفعل والفاعل - وقد تناول علماء العربية الإسناد الفعلي عند تعريفهم للفاعل ومن ذلك قولهم: "أنه ما تقدّم عليه مسند كالفعل وشبهه، وبالتالي فإن الفاعل يكون متأخراً عن هذا المسند سواء أكان فعلاً أم غيره" (٦٢). ولم يشترط النحاة في الفاعل أن يكون معرفةً فيصح مجيئه معرفةً أو نكرة (٦٣)؛ وعلّة ذلك أن الفاعل مخصصٌ بتقديم الفعل عليه "فيتقرر مضمونه في الذهن أولاً. وإن كان غير معين، فلا ينفّر السامع من الإصغاء ؛ لحصول فائدة" (٦٤)، ومجيء الفاعل نكرة أو

معرفة تقتضيه مقاصد الإخبار ودلالته وتلك المقاصد يحددها السياق أو المقام فالكثرة بتفاعلها ضمن السياق فإنها تكسبه دلالات خاصة ما كان ليؤديها لو كانت المفردة معرفة. وكثيراً ما ورد الفاعل نكرة في آيات الوعيد ليفيد معانٍ متعددة يمكن إدراجها وفق المطالب الآتية:

### المطلب الأول: دلالة النكرة على العموم

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْفُتَتْ ۝٢ وَإِذَا الْيَحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْبُيُوتُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ { الانفطار / ١-٥ } . فقد أفاد السياق الدلالة على العموم عن طريق إسناد الفعل (علم) إلى الفاعل الذي جاء نكرة (نفس) في المعنى: أن بعد أهوال يوم القيامة من تساقط النجوم وتفجير البحار بعضها على بعض وبعث الموتى إذا كانت هذه الأشياء "علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه وأخرت وراءه من شيء" (١٥)، والغرض من هذا تحذير العباد بأن أعمالهم محصاة عليهم وستعرض على كل عبد صحيفة عمله. فلفظ (نفس) مفرد نكرة والمراد به العموم، وقد علل ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) استعمال المفرد (نفس) بدلاً من الجمع (نفوس) بقوله: "ووقع الأفراد لتبنيه الذهن على حقايرة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه" (١٦) وهذا مما يزيد قوة المعنى في الإسناد الفعلي. وفي سياق آخر للوعيد فيه تكثير الفاعل للعموم وللتنصيص على نفي خفاء الأشياء عنه تعالى وإثبات صفة العلم له (جلّ ثناءه) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝﴾ { غافر / ١٦ } . وردت الجملة الفعلية المنفية ب (لا) متصدرة بالمسند (يخفى) نافية إياه وورد المسند إليه (شيء) نكرة. والمعنى: أنه تعالى لا يخفى عليه أي شيء فهو علامٌ بجميع الأشياء وأثر لفظ شيء لتوغمه في العموم، ولم يقل لا يخفى على الله منهم أحد، أو لا يخفى على الله من أحد شيء" (١٧)، وبذا يتبين في هذا النفي إثباتاً لعلمه تعالى بكل شيء فهو الخلاق العليم بخلقه، وقد أتى الفاعل نكرة هنا لمناسبة السياق القرآني العظيم، ولعظم المعنى الذي يعبر عنه؛ ليكون أشدّ وقعاً وتذكيراً لهؤلاء المتعاليين على الله (عزّ وجلّ). ومثله قوله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ ۝١ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا سَفْعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٢﴾ { البقرة / ٤٨ } ، و قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُعْنَىٰ مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣﴾ { الدخان / ٤١ }

### المطلب الثاني: دلالة النكرة على التقليل

ومما جاءت النكرة فيه للتقليل في آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝١٥ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝١٦﴾ { الأنبياء / ٤٥-٤٦ } وفي هذا السياق البديع المحكم جاءت النكرة (نَفْحَةٌ) المسند إليها فعل (مَسَّتْهُمُ) في سياق الضعف البشري أمام قوة الخالق (تبارك وتعالى) والضمير في المسند عائد على الكفار المستعجلين بالعذاب، فإذا كانت النفحة الواحدة من العذاب تذكرهم بالويل المنتظر، وبالظلم الذي اكتسبوه، فما بالهم بما وراءها من لفحات العذاب، ف "كلمة (نَفْحَةٌ) مع تنوينها المشعر بضعف العذاب وحقارته و(من) المفيدة للتبويض، فلم يأتيهم كلّ العذاب وإنما هي نفحة عابرة يسيرة" (١٨)، فضلاً عن أنّ صيغة التثنية قد دلّت على التهكم والازدراء بالظالمين فإنهم "لا يصبرون على أقلّ شيء من العقوبة" (١٩).

### المطلب الثالث: دلالة النكرة على التكثير أو التعظيم

ونجد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ ۝١ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝١٣﴾ { آل عمران / ١٠٦ } فتكثير المسند إليه (وُجُوهٌ) جاء للتكثير، أي تبييض وجوه عدد كثير من المؤمنين وتسود وجوه كثيرة للكافرين" (٢٠). وقد أسهم هذا التكثير في الموضوعين في دلالة الوعد والوعيد، ففي يوم القيامة "الناس بين ثواب بالجنة، ومعاقب بالنار، فوصف وجه المثاب بالبياض لإسفاره بالسرور، ووصف وجه المعاقب بالسواد لانكسافه بالحرز" (٢١)، وبهذا يتعاوض التكثير مع السياق في رسم جانب من صورة ذلك اليوم العظيم

## الذاتة

إن قيمة كل عمل في قطافه، ومزية كل بحث في نتاجه، وهانحن بعد هذه الرحلة في رحاب توجيه بيان أثر تكثير المسند إليه في تحقيق مقاصد الوعيد في القرآن الكريم نقف عند أهم ما تمخض عنه البحث وأنتجته الدراسة :

١. كشف البحث عن أن الاسناد قرينة معنوية تهدي إلى إدراك محصول الفائدة .
٢. إنّ توضيف الكلمة سواء أكانت نكرة أم معرفة، إنما يخضع في خصوصيته لمحددات السياق النصي، وفتيات التوظيف الجمالي.



٣. ومرجع هذا التوظيف إلى حاجة السياق، فالسياق وحده المحدد لهذه المعاني التي تخرج إليها النكرة، وفي سياق الوعيد تتبعها ووجدتها تتدرج تحت مطالب محددة

٤. منها تكثير المبتدأ في معنى الدعاء، فالدعاء معنى من معاني الكلام، وقد تخصصت النكرة به بنوع من التخصيص فجاز الابتداء بها، ومن ورود المبتدأ نكرة دالة على الدعاء في سياق الوعيد هي لفظة (ويل).

٥. النفي باب من أبواب المعنى، ومن المعلوم أن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم ومن ذلك: اسم لا النافية للجنس، إذ تدل على تبرئة الجنس من مدلول الخبر.

٦. إن تقديم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ النكرة في آيات الوعيد إنما جاء لإفادة غرضين هما: تخصيص المسند بالمسند إليه، والتنبيه على أن المسند المقدم خبر للمسند إليه المؤخر لا نعت.

٧. وكثيراً ما وردت (من) الزائدة في آيات الوعيد لتفيد نفي الجنس، أو النص على العموم.

٨. جعل النحاة من مسوغات الابتداء بالنكرة أن تدل على العموم ويتحقق ذلك في لفظة (كل) فهي من أقوى صيغ العموم، فهي تتناول جميع أفراد ما دخلت عليه وتشمله شمول الإحاطة وفي سياق الوعيد جاءت مقطوعة عن الإضافة مفردة وخبرها جمعاً.

٩. ورد الفاعل نكرة في آيات الوعيد ليفيد معانٍ متعددة، منها الدلالة على العموم، التقليل، التكثرير أو التعظيم.

## الهوامش

(١) العين: ٢٢٨/٧ (سند)

(٢) جمهرة اللغة: ٦٤٩/٢

(٣) ينظر: الصحاح: ٤٨٩/٢

(٤) مقاييس اللغة: ١٠٥ / ٣

(٥) الكتاب: ٢٣/١

(٦) اللباب في علل البناء والإعراب: ٤٨/١، وينظر: مسائل خلافية في النحو: ٦٨ و للمحة في شرح الملح: ١٠٣/١،

(٧) ينظر: مغني اللبيب: ٤٩٠

(٨) شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٢٤/١

(٩) ينظر: دلائل الإعجاز: ٤١٦

(١٠) ينظر: إحياء النحو ٧٤

(١١) ينظر في النحو العربي نقد توجيهه: ٣١.

(١٢) ينظر: اللغة العربية مبناها ومعناها: ١٨٦

(١٣) مما تجدر الإشارة إليه أنني قد تناولت تعريف المسند إليه دون تكثيره في أطروحتي للدكتوراه الموسومة بـ (البنية الإفرادية والتركيبية في آيات الوعيد) والمقدمة لمجلس كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية. جامعة بغداد.

(١٤) الكتاب: ٢٣/١.

(١٥) الجملة الاسمية (علي أبو المكارم): ١٧.

(١٦) ينظر أسرار العربية لابن الأنباري: ٥٦.

(١٧) الأصول في النحو: ٥٩/١.

(١٨) شرح المفصل: ٢٢٥/١.

(١٩) ينظر: شرح التصريح: ٩٣/١

(٢٠) البرهان الكاشف عن سر الإعجاز: ٨٣٦.

(21) الخلاصة الألفية: ٢٠٢

(٢٢) شرح المفصل: ٨٧/١، وينظر: شرح الكافية: ٩٦-٩٧

- (٢٣) ينظر: أمالي ابن الحاجب: ٥٧٧/٢
- (٢٤) الكتاب: ٣٣٠/١
- (٢٥) معاني القرآن وإعرابه: ١ / ١٦٠
- (٢٦) العَدْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ: ١٦٨/١
- (٢٧) تأويل مشكل القرآن: ٥٦
- (٢٨) ينظر: شرح الكافية: ٨٣/٢
- (٢٩) شرح الكافية: ١١٨/١، وينظر إعراب القرآن للنحاس: ٦٤٨/٣.
- (٣٠) الكشاف: ٦٧٨/٤.
- (٣١) ينظر: الخصائص: ٣٣٣/٢.
- (٣٢) ينظر: بحث (الإخبار عن النكرة بالمعرفة في القرآن الكريم) بحث للدكتور: محمد دلوم، حوايات الآداب واللغات - كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف - الجزائر، مجلد (٥٠)، العدد (١٠): ٢٠٧.
- (٣٣) ينظر: شرح المفصل: ٢٣٧/١، وشرح الرضي على الكافية، ٢٦٠/١، وشرح التصريح، ١٧٥/١، وشرح الأشموني: ٢٨٨/١.
- (٣٤) مفاتيح الغيب: ١٠/٤٠، ينظر: المحرر الوجيز: ٤٠٠/٢، وروح البيان: ١٦٢/٣، والبحر المديد: ٢١٥/٢.
- (٣٥) من بلاغة القرآن: ٩٦
- (٣٦) مفاتيح الغيب: ٢٤١/١٤.
- (٣٧) الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة: ٥٥
- (٣٨) ينظر: اللع في العربية: ٤٤، الملح في شرح الملح: ٤٩٦، الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٩٠، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك: ٥٤٩.
- (٣٩) الكتاب: ٢١٥/٢.
- (٤٠) الإيضاح في شرح المفصل: ٢٨٥/١
- (٤١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٨/٢، وارتشاف الضرب: ١٢٩٦/٣ والتذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٢٧/٥.
- (٤٢) ينظر: مغني اللبيب: ٣١٣/١.
- (٤٣) التحرير والتنوير: ٢٦/٢٣
- (٤٤) مفاتيح الغيب: ٤٥٠/٢٤
- (٤٥) ينظر: الكتاب: ١٣٨ / ٣، المقتضب: ٣٥١/٢، حروف المعاني والصفات: ٧٢، شرح الكافية الشافية: ٨٨٧/٢ والجنى الداني من حروف المعاني: ٤١٤.
- (٤٦) جمهرة اللغة: ٤٦٥/١، (جرم)
- (٤٧) وهو من شواهد سيبويه، وقد نسبه محقق الكتاب إلى أبي أسماء بن الضريبة... ينظر: المعجم المفصل في شواهد العربية: ٢٢٥/١.
- (٤٨) ينظر الكتاب: ١٣٨/٣.
- (٤٩) ينظر: النكت والعيون: ٢١٥/٣. ولطائف الإشارات: ٢٢٣/٢، والكشاف: ٦٣٦/٢.
- (٥٠) ينظر: شرح المفصل: ١٠/٨-١٣، وشرح التسهيل ٢٤٥-٢٥٠.
- (٥١) ينظر الجنى الداني: ٣١٦.
- (٥٢) شرح المفصل: ١٣/٨.
- (٥٣) التحرير والتنوير: ٩٩/٢٤.
- (٥٤) الكشاف: ٣٤٣/٢.
- (٥٥) ينظر: النحو الوافي: ٥٠٩/٣.
- (٥٦) نتائج الفكر في النحو: ٢١٨.

- (٥٧) ينظر: التحرير والتتوير: ١٤١/١٧، وفي ظلال القرآن الكريم: ٢٣٩٥/٤.
- (٥٨) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤٨١٢/٧.
- (٥٩) ينظر: نظم الدرر البقاعي: ١٢٦/٥، وتيسير الكريم الرحمن: ٥٣١.
- (٦٠) جامع البيان: ٥٣٦/١٨.
- (٦١) المقتضب: ٨/١.
- (٦٢) المفصل في صنعة الإعراب: ٢٥.
- (٦٣) ينظر المقتضب: ٨/١، والأصول في النحو: ٧٢-٧٦/١، علل النحو: ٢٦٩.
- (٦٤) حاشية الخصري: ٩٧/١.
- (٦٥) جامع البيان: ٢٦٨/٢٤، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٠٨٦/١٢، ولطائف الإشارات ٦٩٦/٣، والسراج المنير: ٤٩٣/٤.
- (٦٦) المحرر الوجيز: ٤٤٣/٥.
- (٦٧) التحرير والتتوير: ١٠٦/٢٤.
- (٦٨) البلاغة العربية: ١٣٦.
- (٦٩) لطائف الإشارات: ٥٠٤/٢.
- (٧٠) التفسير الوسيط (الطنطاوي): ٢٠٨/٢.
- (٧١) النكت والعيون: ٤١٥/١.